

أمثال القرآن

[513] إِبْصَارَ آيَاتِ اللَّهِ جِدَاءً ، فَيَتَأَمَّلُ فِيهَا وَيَتَدَبَّرُ ، وَيَدْرِكُ بِذَلِكَ عَظْمَةَ اللَّهِ وَقُدْرَتَهُ

أَكْثَرَ ، فَيَخْطُو فِي طَرِيقِ الْهُدَايَةِ بِاسْتِحْكَامٍ وَاسْتِقَامَةٍ . خُطَابُ الْآيَةِ الْإِيمَانِ يَنْبُوعُ الْمَحَاسَنِ

تَقْدَسَمُ أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي تَوْصِيفِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَفَّارِ ، وَهِيَ لَيْسَتْ الْوَحِيدَةُ الَّتِي وَصَفَتْ

الْفَرِيقَيْنِ بَلْ تَقَدَّمَتْ آيَاتٌ وَكَذَلِكَ رَوَايَاتٌ فِي تَوْصِيفِهِمَا . لِمَاذَا كُلُّ هَذَا الْحَدِيثِ وَالتَّأْكِيدِ عَلَى

الْإِيمَانِ وَمَا يَقَابِلُهُ ، أَيْ الْكُفْرَ؟ الْحَقِيقَةُ هِيَ أَنَّ الْإِيمَانَ وَالتَّقْوَى مَصْدَرُ الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ ،

وَيَنْبَغِي الْقَوْلُ دُونَ مِبَالِغَةٍ : كُلُّ شَيْءٍ يَتَحَقَّقُ فِي ظِلِّ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى مَنْ هُوَ الْمُؤْمِنُ؟ إِذَا كَانَ

الْإِيمَانُ قَلَةً عَالِيَةً وَارْتَقَاؤُهَا يُعَدُّ مَنْشَأً لَجَمِيعِ الْمَحَاسَنِ وَإِذَا كَانَ ثَوْبًا ثَمِينًا فَيَنْبَغِي

مَعْرِفَةً مَنْ هُوَ الْجَدِيرُ بِهَذَا الثَّوَابِ الثَّمِينِ وَالصُّعُودِ إِلَى هَذِهِ الْقَلَةِ الْمَلِئَةِ بِالْإِفْتِخَارَاتِ . وَصَفَ

الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الْمُؤْمِنَ فِي ثَلَاثِ جُمَلٍ قَصِيرَةٍ لَكِنَّهَا ذَاتُ مَعْنَى عَمِيقٍ ، حَيْثُ قَالَ :

"الْمُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِينٌ حَذِرٌ" (1) ، وَمِنْ خِلَالِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ يَجْتَازُ الْمَخَاطِرَ ، أَمَّا غَيْرُ

الْمُؤْمِنِ فَكَالزَّوَاحِفِ لَا يَتِمَتُّعُ بِفُطْنَةٍ وَلَا كِيَاسَةٍ وَلَا حَذَرٍ ، وَيَقَعُ فِي الْمَصِيدَةِ بِبَسَاطَةٍ ، وَانْسَانَ مِنْ

هَذَا الْقَبِيلِ يَظُنُّ نَفْسَهُ كَيِّسًا ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ ، وَبِذَلِكَ يَتَلَفُ رَأْسُ مَالِهِ الْأَعْظَمِ ، وَهُوَ عَمْرُهُ ، وَنَهَائِيَتُهُ

الْهَلَاكُ دُونَ جَدْوَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ كِتَابُ الزَّرِّادِ : قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) : نَخْشَى أَنْ

لَا نَكُونَ مُؤْمِنِينَ . قَالَ : "وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ؟" 1 . مِيزَانُ الْحِكْمَةِ ، الْبَابُ 291 ، الْحَدِيثُ 1450 .